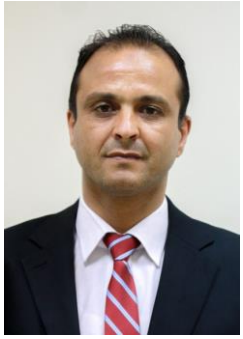

الجهل الأوكراني في تقدير الموقف السياسي والاستراتيجي

بقلم: د. ياسر ابو حامد

الحكمة والدهاء السياسي صفتان ينبغي أن تتمتع بهما القيادة السياسية في الدولة، وتمثلان متطلب مسبق لجعلها قادرة على تقدير الموقف السياسي والاستراتيجي الذي يحفظ مصالح الدولة ويطيل في عمرها وفعلها على المستوى المحلي والاقليمي والدولي، وهذا في الواقع ينقص القيادات الاوكرانية التي أخطأت تقدير الموقف السياسي والاستراتيجي حيال العلاقة مع الدولة الروسية، وتعاطت بقدر عال من الفعالية السياسية مع ما تمخض عن قمة رؤساء دول وحكومات حلف الناتو المنعقدة في بوخارست ابريل 2008 حيث أصدرت القمة اعلاناً في حينه عبر عن ترحيب القمة في التطلعات الاوروبية الاطلسية لكل من اوكرانيا وجورجيا اللتين ترغبان في الانضمام إلى حلف الناتو، وأشار الإعلان إلى الخطوات التي ينبغي أن تسلكمها الدولتين والتي ستقودهما إلى عضوية الحلف.

إن هذا الاعلان مثل نقطة تحول في السياسية الخارجية والدفاعية للدولة الروسية التي رأت فيه أنه يمثل تهديداً للأمن القومي الروسي، وكانت ردة الفعل سريعة تمثلت في تنفيذ عملية عسكرية بهدف دعم اقليم اوسيتيا الجنوبية في جورجيا بعد أن أبدت الأخيرة رغبتها في الانضمام إلى حلف الناتو، وانتهت العملية العسكرية في خسارة جورجيا كل من ابخازيا واوسيتيا الجنوبية، واعتبر ذلك مؤشراً على أن الدولة الروسية بدأت تستعيد عافيتها وأضحت أنها لا تقبل من امريكا والغرب ما كانت تقبله بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتحديداً فيما يتعلق بزحف حلف الناتو شرقاً في القارة الاوروبية، ومنذ ذلك الحين أصبحت محددات السياسية الخارجية الروسية تنحو باتجاه الابعاد الاستراتيجية والأمنية سيما بعد تعاظم النشاطات الامريكية والغربية في الجمهوريات السابقة للاتحاد السوفيتي وتحديداً في اوكرانيا والتي ترى فيها الدولة الروسية تمثل تهديداً أمنياً واستراتيجياً للاعتبارات الآتية: الاطاحة في الحكومة الموالية لموسكو عبر الثورة الملونة المدعومة من أمريكا والغرب، وامتلاك التكنولوجيا التي ورثتها عن الاتحاد السوفيتي سابقا والتي تؤهلها لصناعة السلاح النووي في فترة وجيزة، والمطالبة في الانضمام إلى حلف الناتو والاتحاد الأوروبي.

وعليه اقدمت الدولة الروسية عام 2014 ضم شبه جزيرة القرم ودفع اقليمين تقطنهما اغلبية روسية المطالبة في الانفصال عن أوكرانيا، وكان ذلك بمثابة مؤشراً آخرعلى مضي الدولة الروسية في الرد على محاولات امريكا والدول الغربية التي تهدف إلى تحويل كل من اوكرانيا وجورجيا إلى دول معادية ومحاذية بشكل مباشر لروسيا من الجهة الغربية، وهذا يمثل للدولة الروسية خطوطاً حمراء لا ينبغي تجاوزها.

وفي العام 2019 وصل فولوديمير زيلنسكي إلى سدة الحكم في اوكرانيا وكان عليه أن يدرك خريطة التنافس في القارة الاوروبية، وأن النظام الدولي بدأ ينحو باتجاه التغير، وأن الدولة الروسية التي ترفض مزيداً من زحف حلف الناتو شرقاً في القارة الأوروبية ليست الاتحاد السوفيتي في نهاية عهده، وأن امريكا التي انهزمت في افغانستان وجرت ذيول الخيبة ليست الولايات المتحدة التي أبرزت عضالاتها العسكرية ابان ازمة الخليج الثانية عام 1991، واحتلال العراق عام 2003، وأن تبعات جائحة كيرونا أرهقت اقتصادات العديد من دول العالم وتحديداً في اوروبا الغربية التي وصلت بعض بلدانها الرئيسة إلى حافة الانهيار كايطاليا واسبانيا وحتى فرنسا.

لذلك أخطأت القيادة الاوكرانية في تقدير موفقها السياسي والاستراتيجي حيال العلاقة مع الدولة الروسية، وانتهجت سياسة جوفاء قومها التصعيد وتحدي الدولة الروسية وتجاهل مطالبها الأمنية الاستراتيجية الهادفة إلى حفظ أمنها القومي من التهديدات الخارجية، وأبدت رغبتها في التقرب من أمريكا والدول الغربية، وأبدت مزيدا من الالحاح للانضمام إلى الاتحاد الاوروبي وحلف الناتو، وهذا ما لا تسمح به الدولة الروسية التي ترى في انضمام اوكرانيا إلى الناتو يعني جلب الصورايخ البالستية وقد تكون محملة برؤوس نووية إلى الحدود المباشرة للدولة الروسية الأمر الذي يمثل تهديداً وجودياً من منظور الأمن القومي الروسي.

فالحكمة السياسية التي كان ينبغي أن تتمتع بها القيادة الاوكرانية تستدعي أن تنتهج سياسة تهدئ من المخاوف والهواجس الأمنية للدولة الروسية، السعي أن تكون أوكرانيا فضاءً للتواصل بين غربي القارة الأوروبية وشرقها وفقاً لصيغ أمنية تحضى على مقبولية شقي القارة، وليس أن تكون اوكرانيا ساحة لمعركة عسكرية تقليدية تدفع اوكرانيا الثمن الباهض لقائها، كون أن محددات المعركة معروفة مسبقاً والخروج عن البعد التقليدي للمعركة يعني دمار شامل سوف يلحق البشرية جمعاء وهذا ما لا يريده كل الاطراف سواء الدولة الروسية أو امريكا والدول الغربية.

وللاسف أن القيادة الاوكرانية وكأنها تجهل محددات المعركة بين الاطراف التي تمتلك من الاسلحة غير التقليدية التي قد تنهي حياة مئآت الملاينن من البشر في حال استخدامها، وبكل جهل تطالب دول نووية أن

تتصادم مع بعضها البعض وهذا في اقل تقدير لا يحصل، وانتهجت سياسة سياسة قادت إلى اشعال فتيل الازمة وزادت في اتقادها وارتضت لنفسها أن تكون دمية في يد امريكا والدول العربية وكبدت وستكبد بلادها ثمناً باهضاً كان بالامكان الاستعاضة عنه في تعزيز السلم والامن على المستوى المحلي والاقليمي والدولي، وأن تكون رائداً في هذا المجال.

كما أن تطور الاحداث الراهنة يؤكد أن الازمة ليست فقط بين الدولة الروسية واوكرانيا، وانما أخذت تنحو باتجاه العالمية ذات الابعاد الاقتصادية عبر فرض مزيد من العقوبات على الدولة الروسية، ومن جانب آخر تحظى الدولة الروسية على دعم كل من الصين وايران والهند والعديد من دول العالم التي ترفض التعامل أو تطبيق العقوبات التي فرضها الغرب على الدولة الروسية، وهنا من باب المؤكد أنه سوف لا يخرج أياً من الطرفين منتصراً انتصاراً ساحقاً، وعندما يتوقف ازيز الرصاص وتفجيرات القابل وقصف الطيران، فإنه من شبه المؤكد أن ميزان القوى سوف يتحرك ويقود إلى بروز نظام دولي متعدد الاقطاب عوضاً عن النظام الدولي الراهن الذي تتربع امريكا على قمته، وبعدها سوف تكون الدولة الاوكرانية قد تحولت إلى أكواماً من الحطام والخراب جلبتها قيادة سياسية سيطر عليها الجهل في تقدير الموقف السياسي والاستراتيجي في علاقة الدولة مع الجيران.